لمن ادعى الحق ولم يعاند قال الواحدي قال اصحابنا اضاف الله الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار
وحسن ذلك منه فمن امرح بالقران فليستحسنه وقال الامام فخر الدين الرازي احتج اصحابنا بهذه الاية
على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب المجرمين قالت المعتزلة لم يجد للضلال والكفر ذكر
فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن ان يكون الضمير عايدا عليه واجيب عنه بانه تعالى قال وما ياتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزءون كالضمير في قوله كذلك نسلكه عايدا اليه والاستهزا بالانبيا كفر
وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال والله اعلم
به وقوله تعالى لا يؤمنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقران وقد خلت سنة الاولين
فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم ان ينزل بهم ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى
وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا اهل مكة ان يصيبكم مثل
ما اصابهم من العذاب ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون يعني ولو فتحنا على هولا الذين
قالوا ما تاتينا بالملايكة بابا من السما فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل
كذا اذا فعله بالليل فيه يعني في ذلك الباب يعرجون يعني يصعدون والمعارج والمصاعد وفي المشار
اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان احدهما ان الملايكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى
لو كشف عن ابصار هولا الكفار فراوا بابا في السما مفتوحا والملايكة تصعد منه لما امنوا والقول
الثاني انهم المشركون وهو قول قتادة والحسن والمعنى تظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظروا
الى ملكوت السموات وما فيها من الملايكة لما امنوا لفسادهم وكفرهم ولقالوا انا سحرنا وهو قوله تعالى
لقالوا انما سكرت ابصارنا قال ابن عباس سكرت ابصارنا ماخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجري وقيل
من سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من
تغيير العقل وفساد النظر وقيل سكرت بمعنى غشيت ابصارنا وسكنت عن النظر واصله من السكون يقال
سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر بل نحن قوم مسحورون يعني سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الاية
ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم الملايكة فيروهم عيانا لما امنوا ولقالوا
سحرنا لما سبق لهم في الازل من الشقاوة قوله عز وجل ولقد جعلنا في السما بروجا يعني البروج التي تنزلها
الشمس في سيرها واحدها برج وهي بروج الفلك الاثنى عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه البروج منقسمة
على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر في سورة يونس
وهي البروج مقسومة على ثلاث مائة وستون درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس
في كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر في ثمانية وعشرون يوما قال ابن عباس في هذه
الاية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلها وقال ابن عطية هي قصور في السما عليها الحرس وقال
الحسن ومجاهد وقتادة هي النجوم العظام قال ابو اسحاق يريد بالنجوم هذه البروج وهي نجوم على
ما صوروا به وسميت واصل هذا كله من الظهور وزيناها يعني السما بالشمس والقمر والنجوم للناظرين
يعني المعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذي اوجد كل شي وخلقه وصوره
وحفظناها يعني السما من كل شيطان رجيم اي مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود
من رحمة الله قال كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها

الى

الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من
السموات اجمع فما منهم من احد ان يسترق السمع الا رمي بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس
فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القران فقالوا
هذا والله حدث الا من استرق السمع هذا استثنا منقطع معناه لكن من استرق السمع فاتبعه اي لحقه
شهاب مبين والشهاب شعلة من نار ساطع سمي الكوكب شهابا لاجل ما فيه من البريق شبه بشهاب النار
قال ابن عباس في قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم
بعضا الى السما يسترقون السمع من الملايكة فيرمون بالكواكب فلا تخطي ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من
تخرق وجهه او جنبه او يده او حيث يشا ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السما ضربت الملايكة باجنحتها
خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق
وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها
وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان
الساحر والكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها
مائة كذبة فيقال له اليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السما

فصل

اختلف العلما هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ام لا على قولين
احدهما انه لم يكن يرمى بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانما ظهر ذلك في بدو امره فكان ذلك
اساسا لنبوته صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال انطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين
وبين خبر السما وارسلت عليهم الشهب اخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمي
بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي ويعضده ما روي ان يعقوب
ابن عتبة بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال ان اول من فزع بالرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف وانهم
جاوا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد علاج وكان اهدى العرب فقالوا له انظر ما حدث في
السما من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف
بها الانوا من الصيف والشتا لما يصلح الناس من معايشهم هي التي ترمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك
الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لامر اراده الله من الخلق قال الزجاج
ويدل على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ان شعرا العرب الذين ذكروا البرق والاشيا
المسرعة لم يذكر في شعرها ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعرا
ذكرها قال ذو الرمة كانه كوكب في اثر عفرية • مسوم في سواد الليل منقضب • والقول الثاني ان ذلك
موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري
اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع قال غلظت
وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال
اخبرني رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم بينا هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم رمي بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)